الدرس الحادي عشر/ الروائي الطاهر وطار:

أولا/ نشأته وثقافته:

ولد(الطاهر وطار) سنة 1936 ببلدية(**سافل الويدان**) بولاية سوق أهراس في أسرة كان جده له حضور اجتماعي قوي، فهو الحاج الذي يقصده كل عابر سبيل، حيث يجد المأوى والأكل، وهو كبير العرش الذي يحتكم عنده الناس وهو المعارض الدائم لممثلي السلطة الفرنسية، وهو الذي فتح كتابا لتعليم القرآن بالمجان..، فيقول الطاهر وطار:(**إنه ورث عن جده الكرم والأنفة، وورث عن أبيه الزهد والقناعة والتواضع، وورث عن أمه الطموح والحساسية المرهفة..**).عاش في بيئة لم يسمح فيها للأهالي سوى بقسط من التعليم الديني. فأرسله أبوه إلى قسنطينة ليتفقه في معهد الإمام(عبد الحميد بن باديس في سنة 1952)، فأنتبه إلى أن هناك ثقافة أخرى موازية للفقه ولعلوم الشريعة هي(**الأدب**)، فالتهم الكثير مما وصله من كتب:(جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ومصطفى صادق الرافعي، وطه حسين، و زكي مبارك وألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة..).

ومع اندلاع الثورة التحريرية(1954)، التحق(بتونس) حيث درس قليلا في جامع(**الزيتونة**) وفي(سنة 1956) التحق بالثورة التحريرية، وانضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني، ثم غادر إلى تونس، حيث تعرف على أدب جديد هو أدب السرد المسرحي، فالتهم الروايات والقصص والمسرحيات العربية والمترجمة، فنشر القصص في جرائد تونسية، كما شارك في تأسيس العديد من الصحف التونسية، وعمل في يومية الصباح، ومجلة الفكر التونسية. وفي سنة (1962) أسس أول أسبوعية في تاريخ الجزائر المستقلة تسمى(**الأحرار**) بمدينة قسنطينة، أُوقفت بقرار جزائري رسمي، بعدها أسس في سنة(1963) أسبوعية(**الجماهير**) بالجزائر العاصمة صودرت هي الأخرى من طرف السلطة ، ليعود في سنة(1973) يؤسس أسبوعية(**الشعب الثقافي**)التابعة لجريدة الشعب، أوقفتها هي الأخرى السلطات في(سنة 1974). كما ضل يناضل في صفوف حزب جبهة التحرير إلى أن أحيل على التقاعد.

فقد أسس وتفرغ لتسيير جمعية(**الجاحظية**) منذ سنة(1989) التي تحولت إلى منبر للكتاب والمثقفين لإبداء أرائهم بمختلف مشاربهم الثقافية دون إقصاء، كما جعل(**بيته**) منتدى يلتقي فيه المثقفون كل شهر. وقد أتهم من طرف النخبة الفرنسية بمحاباة الجماعات الإسلامية، والتعاطف مع الإسلام السياسي، بعد أن أعتبر اغتيال الروائي(**الطاهر جاووت**) الذي لم يكتب إلا بالفرنسية سنة (1993) خسارة لفرنسا وليس الجزائر. ويعتبر(**الطاهر وطار**) من أنشط الروائيين الجزائريين سياسيًا، إن لم يكن

أنشطهم منذ بدايات الاستقلال مرورا بأزمة التسعينات حتى **وفاته** يوم الخميس(12أوت سنة2010)، هكذا فقدت الجزائر قامة من قامات الأدب الجزائري عامة والرواية الحديثة خاصة(**الطاهر وطار**) عن عمر يناهز(74 سنة)، بعد معاناة من مرض عضال بإحدى عيادات الجزائر.

ثانيـــا/ مؤلفـاتـــــــــــــه:

1ــ الـروايـــــــات:

ــ رمانة 1971 ـ اللاز 1974 ــ الزلزال 1974، ـ الحوات والقصر1974 ــ عرس بغل 1983.

ــ العشق والموت في زمن الحراشي 1982 ــ تجربة في العشق 1989 ــ الشمعة والدهاليز 1995.

ــ الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي1999 . ــ الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء 2005.

ــ قصيدة في التذلل(2010) كتبها وهو طريح الفراش وتطرق فيها إلى علاقة المثقف بالسلطة.

2 ــ المجموعــات القصصيـــة: **3ــ المسـرحيـــات:**

ــ دخان من قلبي، تونس1971. ــ على الضفة الأخرى: مجلة الفكر التونسي أواخر الخمسينات.

ــ الطعانات: في الجزائر 1971 . ــ الهارب : الجزائر: الجزائر 1971.

ــ الشهداء يعودون هذا الأسبوع، 1974 .

وقد حُوّل عدد من أعماله إلى أفلام ومسرحيات كما ترجمت أعماله إلى أكثر من لغة أهمها: الإنجليزية– الألمانية ـ الروسية... وخاصة روايته(**اللاز**) التي تُدَرَّس إلى جانب رواية(**الأم**) لماكسيم غوركي في المدارس النقابية و الحزبية، وأن رَفَعَتْه وجعلت شهرته تقفز إلى مكانة مرموقة عالميًا.

ثالثـــا/ الـطاهـر وطـــار: فاعليـة التجـريب والانفتـــاح

إن معالم/ ملامح الحداثة في روايات(**الطاهر وطار**) لا يمكن حصرها في جانب محدد، وذلك بسبب تشعب هذه الملامح في كل نص روائي جديد يكتبه، ففي كل مرة كان(الطاهر وطار) يجرب طريقة جديدة في الإبداع الروائي ويفاجئنا بالمغاير والمختلف، وهنا مكمن الحداثة عنده، إلا أن هذا التمظهر اتضح أكثر على مستوى المنظور الرؤيوي والأيديولوجي مقابل المستوى التقني والجمالي الذي انصب هو كذلك في أطر محددة مثل: التلاعب بالزمن، وتغريب المكان، وتوظيف مختلف الأشكال التعبيرية

الأدبية وغير الأدبية، وكذلك اللجوء إلى تقنية التناص والمناص، وأخيرا اشتغاله المميز على اللغة الروائية وخاصة في روايته الأخيرة: **قصيدة في التذلل** (سنة 2010).

1/ ففي روايـة(**الـــلاز**): التي عمد فيها الكاتب إلى معالجة الصراع بين الثوار والاستعمار من جهة والثوار الشيوعيين وثوار جبهة التحرير الوطني من جهة أخرى، يتم استثمار أبرز تقنيات الرواية الجديدة، وبعض عناصر التراث المحلي والعالمي. فقد استثمر تقنية(**الحلم**) في صوغ حكيه الروائي حيث تنفتح الرواية على(الشيخ الربيعي) والد(الشهيد قدور) ينتظر دوره أمام مكتب منح الشهداء وتنتهي على إفاقته على صوت الموظف، وهو يطلب منه بطاقته لكي يسلمه المنحة، وهو (**الحلم**) الذي جعل السارد يستثمر(**التذكر**) في استعادة أحداث الماضي والتداعي في عرضها، مما أسهم في تكسير النظام التعاقبي للزمن السردي، وتقطيع الأحداث، حيث نجد كل شخصية من شخصيات الرواية تروي فصلا أو أكثر من الحدث فاسحة المجال لشخصية أخرى حتى تكمل الحكاية (تعدد الرواة). كما تَقَصّد الكاتب تجريد(**المكان**) بعدم تحديد القرية/ الجبل، وذلك حتى يكون في نظره (**رمز لكل الجزائر**).

وقد استثمر التراث العالمي لتعميق الأبعاد الدرامية لشخصية(**زيدان**) الشيوعية، والتراث المحلي الجزائري بتوظيف الأمثال الشعبية لتأكيد الرؤى والمواقف من مثل(**ما يبقى في الواد غير حجاره**)، وهي لازمة الرواية، بحكم ثقافته الدلالية القائمة على أساس أنه لا يبقى إلا الحق، أما الباطل فزائل، وهي النقدية السياسية التي تتردد على كامل مسار الرواية مشكلة إيقاعها الداخلي:(الصح..الصح.. لايبقى في البلاد غير الصح، الصح هو الحق.. وهذه البلاد ليس فيها حق لكن سيأتي يوم، ولا يبقى في الوادي إلا حجاره ، إلا الصح، إلا الحق..).

2/ أما التجريب في روايته(**العشق والموت في الزمن الحراشي**) الكتاب الثاني لرواية(**اللاز**)، فيتجلى بالأساس في استثماره(**الأسطوري**) في الرواية، بتحول شخصية(**اللاز**) اللقيط في رواية(اللاز) إلى وَلِي صالح، ينسب إليه الخرافي من الحكايات والعجيب من الأفعال، إذْ يتجاوز حدود الزمان والمكان ليقترن بالمطلق واللانهاية، فيكوّن من الحقيقة/ الجوهر. كما يستثمر الكاتب التراث وأعلامه المجلي منه خلال حضور(**كاتب ياسين**) و(**جميلة بوحيرد**)، والتراث العالمي عبر استعادة شخصيات(**بايلو نيرود**) و(**مايوفسكي**) و(**ألبير كامي**) و(**شكسبير**) وغيرهم، مما يجعل وعي(الطاهر وطار) بالتراث يتجاوز حدود المخيلة الضيقة إلى العالمية. كما يستثمر نوع المذكرات من خلال قيام الطالبة المتطوعة(**جميلة**) بتدوين مذكرات المناضل(**الشيخ المكي**) فضلا عن توظيف المثل اللازمة في الرواية:(**ما يبقى في الوادي غير حجاره**) مجددا، وعديد الأمثال الجزائرية الأخرى إلى جانب حضور الذات الكاتبة شخصية

روائية، تعبر عن ذات النقدية لسلطة الاستقلال في جزائر السبعينيات من القرن الماضي، وما آلت إليه الثورة من مظاهر انحراف عن الأصيل من مبادئها التي بشرت بها زمن التحرير،وهي الثورة التي يدركها(الطاهر وطار) فعلا مجددا وفي صيرورة دائمة بقوله:

لكل عصر(**لاز**)، لكل عصر(**جميلة**)

الثورة التي تتوقف على(**لاز**) **معين** أو(**جميلة**) **معينة**، هي ثورة جامدة، تدور في الفراغ.

وعليه فإن جمالية الكتابة الروائية عند(الطاهر وطار) تختزل في قدرته على هضم المضامين الاجتماعية بكل صراعاتها وسلبياتها وفق منظور الواقعية الاشتراكية، وخصوصًا في فترة هيمنة الحزب الواحد. الأمر الذي يجعل القارئ لروايات(الطاهر وطار) يقف عند بعض الإجراءات النقدية التي تتناسب وهذا التوجه الفكري والإبداعي عنده، ولعل الإجراء الأنسب هو مصطلح (**رؤية العالم**) الذي اعتمدته سوسيولوجيا النقد الجدلي من خلال منهج البنيوية الشكلانية (**للوسيان غولدمان**) الذي ذهب إلى أن رؤية العالم في أعمال كاتب/مبدع هي عبارة عن مجموع الأفكار والأحاسيس التي تهيمن على فئة بشرية تعيش أوضاعًا اقتصادية واجتماعية متشابهة هي بمثابة موقف إيديولوجي يتعارض مع فئة أو فئات أخرى.